

مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الأبناء على آبائهم» (ملاخي ٤: ٥ - ٦).

ينتهي العهد القديم، إذاً، بكلام على عودة إيليا النبي ليدشن الزمن المسياني. ومما لا يرقى إليه الشك أن بعض نصوص العهد الجديد ارتكزت على فكرة عودة إيليا هذه. ففي إنجيل لوقا، مثلاً، نلمح تشديداً على أن هذه النبوءة تتحقق عبر حضور يوحنا

المعمدان الذي يصبح بمثابة إيليا الآتي ليهيئ طرق الرب. من هنا، نلاحظ أن إنجيل لوقا يتكلم، بلسان الملاك، على الصبي يوحنا

بالعبارات ذاتها المختصة بالنبي إيليا في ملاخي. فيوحنا يرد قلوب الآباء إلى الأبناء، ويتقدم أمام الرب بروح إيليا (لو ١: ١٦ - ١٧).

من اللافت أن الإنجيلي لوقا يتجنب المماهة الكاملة بين يوحنا وإيليا. فالمعمدان ليس إيليا العائد بالجسد، بل هو يتمتع بروح إيليا، أي أنه، بكل بساطة، يؤدي الوظيفة التي نسبتها نبوءة ملاخي إلى إيليا. والحق أننا نعثر في إنجيل متى على كلام ليسوع نفسه يؤكد فيه هذا التقاطع بين دور يوحنا

النبي الياس في

العهد الجديد

يضطلع النبي الياس في نصوص العهد الجديد بدور مركزي. والأرجح أن هذا الدور مرتبط ارتباطاً وثيقاً بما ينقله العهد القديم عن هذا النبي أن الله رفعه إليه بمركبة نارية: «وفيما هما

يسيران ويتكلمان إذا مركبة من نار وخيل من نار ففصلت بينهما فصعد إيليا في العاصفة إلى السماء» (٢ ملوك ٢: ١١). فكون العهد القديم لا

يذكر شيئاً عن موت إيليا - كما في حال الأنبياء الآخرين، بل يؤكد صعوده حياً إلى السماء، أدى إلى نشوء تقليد في اليهودية المتأخرة يقول بأن إيليا سيرجع ثانية، بحيث يسبق مجيئه مجيء المسيح المنتظر. ويستند هذا التقليد، على نحو مباشر، إلى نص من نبوءة ملاخي من المفارقة أنه يشكل الآيات الأخيرة من العهد القديم: «هأنذا أرسل إليكم إيليا النبي قبل مجيء يوم الرب، اليوم العظيم والمخوف، فيرد قلب الآباء على الأبناء وقلب

الرسالة

(يعقوب ٥: ١٠-٢٠)

يا إخوة إتخذوا الأنبياء الذين تكلموا باسم الرب قدوة في احتمال المشقات وفي طول الأناة* فإننا نطوب الصابرين وقد سمعتم بصبر أيوب ورأيتم عاقبة الرب. لأن الرب متحنن جداً ورووف* وقبل كل شيء يا إخوتي لا تحلفوا لا بالسماء ولا بالأرض ولا بقسم آخر. ولكن ليكن كلامكم نعم نعم ولا لا لئلا تقعوا في الدينونة* هل فيكم أحد في مشقات فليصل أو في سرور فليرتل* هل فيكم مريض فليدع قسوس الكنيسة وليصلوا عليه ويدهنوه بزيت باسم الرب* فإن صلاة الإيمان تخلص المريض والرب ينهضه. وإن كان قد ارتكب خطايا تغفر له* اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات وصلوا بعضكم لأجل بعض لكي تبرأوا. إن طلبت

العدد ٢٠٠٨/٢٩

الأحد ٢٠ تموز

تذكار القديس المجيد

إيلياس النبي التسببتي

اللحن الرابع

إنجيل السحر الخامس

البارّ تقتدر كثيراً في فعلها* كان إيليا إنساناً قابلاً للآلام مثلنا وقد صلي أن لا ينزل المطر فلم ينزل على الأرض مدة ثلاث سنين وستة أشهر* ثم عاد وصلي فأمرت السماء وأخرجت الأرض ثمرها* أيها الإخوة إن ضل أحد بينكم عن الحق فردّه أحد* فليعلم أن الذي ردّ خاطئاً عن ضلال طريقه قد خلص نفساً من الموت وسترجماً من الخطايا.

الإنجيل

(متى ٨: ٢٨-٣٤؛ ١٠: ٩)

في ذلك الزمان لما أتى يسوع إلى كورة الجرجسيين استقبله مجنونان خارجان من القبور شرسان جداً حتى إنه لم يكن أحد يقدر أن يجتاز من تلك الطريق* فصاحا قائلين ما لنا ولك يا يسوع ابن الله. أحييت إلى ههنا قبل الزمان لتعذبنا* وكان بعيداً منهم قطيع خنازير كثيرة ترعى* فأخذ الشياطين يطلبون إليه قائلين إن كنت تخرجنا فاذن لنا أن نذهب إلى قطيع الخنازير* فقال لهم اذهبوا. فخرجوا

المعمدان وما نسبته كتب العهد القديم إلى إيليا. فإثر سؤال طرحه بعض التلاميذ عن مجيء إيليا، يجيب يسوع: «ولكني أقول لكم إن إيليا قد جاء ولم يعرفوه بل عملوا به كل ما أرادوا. كذلك ابن الإنسان أيضاً سوف يتألم منهم، حينئذ فهم التلاميذ أنه قال لهم عن يوحنا المعمدان» (متى ١٧: ١٢-١٣). البارز في هذا النص أن صورة إيليا، في ذهن السيد، ترتبط ارتباطاً لا تنفصم عراه بالقدر الذي يواجهه معظم الأنبياء، أي الموت، هذا الموت الذي كان من نصيب يوحنا السابق ونصيب يسوع على حد سواء.

من جهة أخرى، لا ريب في أن صورة إيليا في العهد الجديد مدموغة بما نقرأه في الأناجيل عن حادثة التجلي. وتتلاقى الروايات، هنا، على أن يسوع، قبل صعوده إلى أورشليم الذي سيؤدي إلى موته، اصطحب بطرس ويوحنا ويعقوب إلى جبل عال، وتجلي لهم في مجده في وسط موسى وإيليا، على نحو نوراني. لقد رأى المفسرون منذ القدم، أن حضور موسى وإيليا في التجلي يشير إلى أن ما جرى مع يسوع، ولا سيما صلبه وموته ودفنه وقيامته، إنما هو منسجم مع كلام التوراة والأنبياء ككل، أي مجمل العهد القديم، ويشكل تحقيقاً له. فحضور موسى يرمز إلى الكتب الخمس الأولى من الكتاب المقدس، وهي، في عرف اليهود المعاصرين ليسوع نواة الكتب المقدسة. أما إيليا فيرمز إلى كتب الأنبياء، رغم أنه ليس ثمة كتاب يحمل اسمه. ولعل أكثر الروايات التي سردت حادثة التجلي تعبيراً عن هذا الارتباط بين كتب العهد القديم

وأحداث حياة يسوع هي رواية الإنجيلي لوقا التي نقرأ فيها أن موسى وإيليا كانا يتحدثان مع يسوع عن الخروج الذي هو مزعم أن يكمله في أورشليم (لو ٩: ٣١). والأكيد أن فكرة الخروج تشير إلى صلب يسوع وموته. مرة أخرى، إذا، تخيم صورة الموت على السياق الذي يظهر فيه إيليا، موت النبي الذي يصبح هنا موت المسيح، الملك المنتظر، بحيث تتغير صورة الملك على نحو جذري.

النص الأخير الذي ينبغي التوقف عنده هو من رسالة يعقوب: «اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات، وصلوا بعضكم لأجل بعض لكي تشفوا، طلبة البارّ تقتدر كثيراً في فعلها، كان إيليا إنساناً تحت الآلام مثلنا، وصلي صلاة أن لا تمطر فلم تمطر على الأرض ثلاث سنين وستة أشهر، ثم صلي أيضاً فأعطت السماء مطراً وأخرجت الأرض ثمرها» (يعقوب ٥: ١٦-١٨). نحن هنا بعيدون كل البعد عن الأجواء المساوية المتعلقة بموت النبي، والتي تصاحب صورة إيليا في الأناجيل. فكتاب الرسالة يستحث قراءه على الصلاة، مؤكداً ما لفعل الصلاة من قدرة وفاعلية. وهو يستعين بقصة إيليا، كما نقرأها في العهد القديم، ليزيد من قوة حجته. اللافت في هذه القصة ليس مجرد بر إيليا، الذي مكّنه من التحكم بهطول المطر، بل كونه، رغم هذا البر، مجرباً ومعرضاً للخطيئة، شأنه شأن المؤمنين الذين يتوجه إليهم القديس يعقوب في رسالته.

خلاصة القول أن إيليا يتمتع بموقع خاص في العهد الجديد.

وذهبوا إلى قطيع الخنازير. فإذا بالقطيع كله قد وثب عن الجرف إلى البحر ومات في المياه* أما الرعاة فهربوا ومضوا إلى المدينة وأخبروا بكل شيء وبأمر المجنونين* فخرجت المدينة كلها للقاء يسوع. ولما رأوه طلبوا إليه أن يتحول عن تخومهم* فدخل السفينة واجتاز وأتى إلى مدينته.

تأمل

تعلمنا أقوال اللاهوت ان هناك نوعين من الأرواح الشريرة، بعضها أكثر لطافة والبعض الآخر أكثر مادية. والأكثر لطافة هي التي تحارب النفس، أما الأخرى فمن عاداتها سبي الجسد بجذبه إلى الشهوات. لذا فالشياطين الذين يحاربون النفس، والذين يهاجمون الجسد، يتصرفون دائماً تصرفاً عكسياً وإن كان عزمهم على إيذاء البشر واحداً. فعندما لا تسكن النعمة في الإنسان يتسللون كالحيات إلى أعماق القلب ولا يدعون النفس تتجه إلى اشتياق الصلاح إطلاقاً. أما إذا حلت النعمة مستترة في الذهن فحينئذ يجولون فقط في أجزاء القلب مثل سحب قاتمة، متخذين

فهو رمز الأنبياء والكتب النبوية. وهو نموذج البر والصلاة التي يستجيب الله لها. وهو، خصوصاً، العائد في الأيام الأخيرة لينذر بقدوم يوم الرب العظيم، ما يجعل الأناجيل تسبغ على يوحنا المعمدان صفات إيليا ووظيفته الانقضائية، من دون أن يفضي هذا إلى مراهة كلية بين السابق وإيليا: «فاعترف ولم ينكر وأقر أنني لست أنا المسيح، فسألوه إذا ماذا، إيليا أنت، فقال لست أنا، النبي أنت فأجاب لا، فقالوا له من أنت لنعطي جواباً للذين أرسلونا، ماذا تقول عن نفسك؟ قال أنا صوت صارخ في البرية قوموا طريق الرب، كما قال إشعياء النبي» (يوحنا ١: ٢٠-٢٣).

شريعة الله

«لذلك اقبلوا بعضكم بعضاً كما ان المسيح أيضاً قبلنا لمجد الله» (رو ١٥: ٧). هذه إحدى الوصايا الكثيرة التي يوردها الرسول بولس في رسائله إلى المؤمنين في مختلف الكنائس التي أسسها. وترد هذه الوصية ضمن سلسلة وصايا وتحذيرات لنا «نحن الأقوياء أن نحتمل أضعاف الضعفاء ولا نرضي أنفسنا. فليرض كل واحد منا قريبه للخير لأجل البنين...» (رو ١٥: ١-٧). وصايا الرسول بولس هي جزء لا يتجزأ من الوصايا الواردة في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد والتي أعطانا إياها الله في الكنيسة لتشكل أساس نظام حياتنا. نموذج من هذه الوصايا: الوصايا العشر والعظة على الجبل. يمكننا قراءة هذه الوصايا والتحذيرات (التي تبدأ عادة بعبارة

شكل أهواء الخطيئة وشكل ملهيات مختلفة ليشتتوا ذاكرة الذهن ويقتلعوها من إفتها مع النعمة. لذلك عندما يعمد الشياطين محاربو النفس إلى انكاء الأهواء النفسانية فينا، بخاصة العُجب الذي هو أم الرذائل، نزيل نحن انتفاخ العُجب أكثر ما نزيله بتأملنا عار انحلال الجسد. وينبغي أن نلجأ إلى ذلك أيضاً حين يحاول الشياطين محاربو الجسد اثاره حمى الشهوات المعيبة في قلبنا، لأن ذكر انحلال الجسد يستطيع لوحده ضبط نوعي الأرواح الشريرة عن طريق ذكر الله. وإذا ما عمد الشياطين محاربو النفس بالمقابل إلى أن يوحوا إلينا، بداعي فكرة انحلال الجسد، احتقاراً مفرطاً للطبيعة البشرية باعتبارها غير ذات قيمة بسبب الجسد (وهذا ما يؤثرون فعله حين نريد تعذيبهم بمثل هذه الفكرة. أنظرو ٨:٢٨)، فلنذكر حينذاك شرف ملكوت السموات ومجده دون أن تغيب عن بالنا مرارة الدينونة القاتمة، حتى ينهضنا الذكر الأول من يأسنا ويردع الثاني خفة قلبنا.

القديس نياذوخس

بولس في كتاباته. لكن الدينونة، بحسب تعليم الكتاب ليست عمل إله حقود يحب الإنتقام، ويريد أن نطبق إرادته لأجله هو، وسوف يقضي علينا إذا لم نطعه. لقد أعطيت لنا وصايا الله لأجل الحياة، وليس للموت وللإدانة.

بالنسبة لآباء الكنيسة الشرقية، الكنيسة ليست قاعة محكمة بل مستشفى. جسد المسيح هو مكان شفاء وتجدد ومصالحة. والله ليس القاضي، وإن كانت أمثلة الرب يسوع صورته كذلك فلكني تؤكد على حقيقة الدينونة. لكن الذي يحكم علينا هو نحن أكثر مما هو الله، وذلك من خلال رفضنا الطريق القويم التي تقودنا من ظلمة هذا العالم وفساده إلى مجد ملكوت السموات وبهائه. أعمالنا تحكم علينا قبل أن يديننا الله.

جميعنا في هذه الحياة الأرضية كأننا في غابة تائهون وضللنا طريق العودة. الله يفتح لنا طريقاً ضيقاً صعباً، في وسط الغابة، لكنه يقودنا إلى النور. الخيار لنا، إما أن نمضي تائهين أو نتبع إرادته ووصاياه، ونأخذ طريقه التي تقودنا إلى الخلاص والحياة. هذا يعني انه علينا أن نعيد النظر في مفهومنا لشرعية الله ومعنى وصاياه التي أعطاه لنا. الشرعية ليست مجرد وصايا تنظيمية، انها نمط حياة، هدفها تحويلنا من الداخل، بأن تجعل منا قديسين كما ان الله قدوس. نحن نصبح صالحين بقيامنا بالأعمال الصالحة. أعمالنا تغيرنا فنصير فعلياً ما نحن نقوم به. أي يصبح عمل الوصايا صادراً من كياننا ومن أعماق قلبنا وليس لمجرد الخوف من حكم ودينونة.

قبول الوصايا والعمل بها يجلبان نعمة التغيير إلى حياتنا فنخرج من أنانيتنا وغضبنا، ونضع أنفسنا في الطريق الضيق المؤدي إلى المحبة والفرح والسلام: ثمار الروح القدس.

في المسيح يسوع تختصر كل الشريعة في كلمة واحدة: المحبة، المحبة حتى الموت لأجل الآخر «هذه هي وصيتي أن تحبوا بعضكم بعضاً كما أحببتكم. ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه. أنتم أحبائي إن فعلتم ما أوصيكم به» (يو ١٥: ١٢-١٤). لهذا فإن دعوة الرسول بولس «اقبلوا بعضكم بعضاً كما أن المسيح أيضاً قبلنا لمجد الله» (رو ١٥: ٧) لسيست مجرد واجب أخلاقي. انها جواب على محبته، على صورة المسيح الذي أحب أولاً فوق كل تصور. كل عمل نقوم به مبني على ما قام به الله لأجلنا، لأن الله محبة. وتلك المحبة تضم الدينونة في طياتها، لكن هدفها الأساسي أن تقودنا من الموت الذي التصقنا به إلى الحياة في خدمة «مجد الله». الله لا يطلب منا مجداً لذاته. عندما نمجده في أعمالنا فنحن نشترك في مجده وبهاء ألوهته وندخل في هذا البهاء.

بكلمة بسيطة أخيرة، الله وضع لنا الوصايا لا لعذابنا وقصاصنا إنما ليمنحنا حياة أبدية. متى نظرنا إلى الوصايا بهذا الشكل يصبح حملها خفيفاً لأنها تحمل في طياتها الوعد بالخلاص.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعياً على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb